Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما كان لابد فى كل تنظيم اجتماعى من حكومة مركزية، كان أنسب حجم للوحدة الاجتماعية هو الحجم الذى يسمح للحكومة المركزية بصيانة الأمن فيها من ناحية، والدفاع عنها ضد الخطر الخارجى من ناحية أخرى. وقد ظلت الطرق حتى زمن قريب هى الوسيلة الوحيدة التى تتمكن بها الحكومة المركزية من إرسال القوات إلى أى مكان تنشب فيه فتنة داخل نطاقها، أو تنقل بها الجنود لقتال العدو الخارجى.

وجاء أول تغيير مهم باختراع القطار، والمظنون أن حملة نابليون على روسيا ما كانت لتفشل، لو أن القطار كان معروفا فى أيامه. وبعد القطار جاء التلغراف ثم التليفون، ثم جاءت الطائرة التى مدت ذراع السلطة المركزية عبر المحيطات والفلوات، وقد أصبحت أبعد نقطتين الآن على وجه الأرض على بعد يوم واحد أو يومين بالطائرة.

إن تقدم وسائل المواصلات يعجل بقيام وحدة اجتماعية سياسية واسعة النطاق يمكن أن تشمل العالم كله، تحكمها حكومة مركزية واحدة، سواء كانت هذه الحكومة مركزا لإمبراطورية عالمية، أو مركزا لائتلاف دولى من نوع الأمم المتحدة.

الروح القومية

ولكن العوامل النفسية فى الأمم والشعوب تؤخر قيام هذه الوحدة الضخمة وتقاومها، وتجعل صيانة هذه الوحدة غير ممكنة إلا بوسائل العنف والقمع. وهذه العوامل النفسية تتبلور فى الفكرة القومية، فالفكرة القومية هى العدو الطبيعى للإمبراطوريات.

وقد اقترنت الروح القومية فى كثير من الأحيان بفكرة التفوق العنصرى، كما اعتمدت فى كثير من الأحيان على تزييف التاريخ عن قصد وعن غير قصد، فجعلت كل أمة تعتقد أنها أرقى عنصرا وأخصب ثقافةً من غيرها من الأمم، كما جعلت كل أمة تفسر التاريخ من وجهة نظرها فقط. فالفرنسى مثلا يتعلم أن نابليون أوشك أن ينتصر انتصارا ساحقا فى ووترلو، لولا أن طعنه البروسيون من الخلف، والألمانى يتعلم أن هزيمة ولنجتون كانت محققة لولا أن خف بلوخر إلى نجدته. والإنجليزى يتعلم أن ثبات الإنجليز ومثابرتهم فى القتال هما اللذان أنزلا الهزيمة بنابليون، وما كان دور بلوخر فى ووترلو إلا عاملا مساعدا فحسب. ولكن التلاميذ الإنجليز لا يتعلمون تعليق ولنجتون نفسه على المعركة، وهو : « أنها كانت شيئا لطيفا جدا».